يغار على أوليائه قال فغشي علي قال فما أفقت حتى خرجت نفسه رحمة الله عليه ورضوانه ثم وقع
علي سيات فانبهت وأنا على الجادة قال فدخلت مدينة شميشاط بعد ما حججت فاستقبلني
امرأة بيدها كوز فما رأيت أشبه بالشاب منها فلما رأتني قالت يا أبا إسحاق كيف رأيت الشاب
فإني أنتظرك منذ ثلاث فذكرت لها القصة إلا أن قلت قال أردت أن أشمهم فصاحت وقالت آه بلغ الشم
الشم وخرجت نفسها فخرج أتراب لها عليهن المرقعات والفوط فكفلن أمرها وتولين شأنها رضي
الله عنهم أجمعين فهكذا يكون حال من يكون عظيم الهمة شريف الإرادة والنية لا يساكن أحدا من
المخلوقات ولا يوطن نفسه على شيء من المصنوعات يتكفل الله تعالى بأمره ويجعل الكون خادما له
بأسره رزقنا الله تعالى مما رزقهم ووفقنا لما وفقهم بجوده وكرمه لا يلزم من ثبوت الخصوصية
عدم وصف البشرية إنما مثل الخصوصية كإشراق شمس النهار ظهرت في الأفق
وليست منه تارة تشرق شموس أوصافه على ليل وجودك وتارة تفيض ذلك عنك
فيبرز إلى حدودك فالنهار ليس منك إليك ولكنه وارد عليك ثبوت الخصوصية للعبد
لا يلزم منه عدم وصف البشرية لأن الوصف البشري أمر ذاتي لازم للعبد والأمور الذاتية اللازمة يستحيل
عدمها وانقلابها وإنما اللازم من ذلك عدم غلبة أحكام ذلك الوصف على العبد فقط لأجل الوارد
الغالب فإن قدر ذهاب هذا الوارد الغالب بقي وصف البشرية غالبا قاهرا وكان العبد في يديه أسيرا ومثال
ذلك من المحسوسات إشراق شمس النهار على الآفاق والمظلمة ليزيل آثار ظلمانيتها فتستنير
بذلك وتشرق فإذا غابت الشمس رجعت إلى حالها من الظلمة لأن النور ليس بذاتي لها وهو معنى قوله
وليست منه ومعنى الخصوصية المذكورة هي ما يخص الحق تعالى به أولياءه من ظهور أوصافه العلية
ونعوته القدسية عليهم ليغطي بذلك أوصاف نفوسهم الدنية الردية عنهم لئلا يظهر أثر كدراتها في
صفاء أوقاتهم كما تقدم من قوله إذا أراد أن يوصلك إليه ستر وصفك بوصفه وغطى نعتك بنعته
فإذا أشرقت أنوار ذلك على ليل وجودهم ذهبت بظلمات نفوسهم وبقوا في نهار الوصلة
والقربة من غير حول منهم ولا قوة وهو معنى قوله فالنهار ليس منك إليك وإن غابت عنهم تلك الأنوار
المشرقة رجعوا إلى أصلهم ولزموا الوقوف على حدهم وكانوا في ليل القطيعة والحجبة كما كانوا قبل
ذلك والغرض من هذا الرد على طوائف غلطت في هذا الأمر وتغالت وزعمت أن القرب من الله تعالى والوصول
إليه إنما يكون بعدم أوصاف البشرية وزوالها بالكلية واتصافه بصفات الربوبية بدلا منها
وفسرت بهذا ما عبر به المشايخ من الفناء والبقاء فوقعوا من ذلك في ضلال وتزندق نعوذ بالله من ذلك
والمعنى الصحيح في ذلك إنما هو ما ذكره المؤلف رحمه الله هاهنا ذل بوجود آثاره على وجود
أسمائه وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه وبوجود أوصافه على وجود ذاته إذ
محال

إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه فإن باب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ثم يردهم
إلى شهود صفاته ثم يرجعهم إلى التعلق بأسمائه ثم يردهم إلى شهود آثاره و
السالكون على عكس هذا فنهاية السالكين بداية المجذوبين وبداية السالكين نهاية
المجذوبين لكن لا بمعنى واحد فربما التقيا في الطريق هذا في ترقيه وهذا في تدليه عباد
الله المخصوصين بالقرب منه والوصول إليه ينقسمون إلى قسمين سالكين ومجذوبين فشأن السالكين
الاستدلال بالأشياء عليه وهم الذين يقولون ما رأينا شيئا إلا رأينا الله بعده وشأن المجذوبين
الاستدلال به على الأشياء وهم الذين يقولون ما رأينا شيئا إلا رأينا الله قبله ولا شك أن
الدليل أبدا أظهر من المدلول فأول ما ظهر للسالكين الآثار وهي الأفعال فاستدلوا بها على الأسماء
والأسماء على الصفات وبالصفات على وجود الذات فكان حالهم الترقي والصعود من أسفل إلى أعلى
وأول ما ظهر للمجذوبين حقيقة كمال الذات المقدسة ثم ردوا منها إلى مشاهدة الصفات
ثم رجعوا إلى التعلق بالأسماء ثم انزلوا إلى شهود الآثار فكان حالهم التدلي والنزول من أعلى إلى
أسفل فما بدأ به السالكون من شهود الآثار إليه انتهى بالمجذوبين وما ابتدأ به المجذوبون من كشف
حقيقة الذات إليه انتهى السالكون لكن لا بمعنى واحد فإن مراد السالكين شهود الأشياء لله
والمراد بالمجذوبين شهود الأشياء بالله فالسالكون عاملون على تحقيق الفناء والمجذوبون
سلوك بهم طريق البقاء والصحو ولما كان شأن الفريقين النزول في تلك المنازل المذكورة لزم منه
التقاؤهما في طريق سفرهما السالك مترق والمجذوب متدل لا يعلم قدر القلوب والأسرار إلا في
غيب الملكوت كما لا تظهر أنوار السماء إلا في شهادة الملك أنوار القلوب والأسرار
المشرقة عليها من سماء التوحيد والمعرفة لا يعرف قدرها إلا غيب الملكوت وهي عالم الآخرة
وهناك يحصل تمام هذه الأنوار فمن آمن بالغيب كان له من ذلك الحظ الأوفر كما أن أنوار السماء
المشرقة على ظواهر الأجرام لا تظهر إلا في شهادة الملك وهو عالم الدنيا وذلك لحصول المناسبة
بين هذه الأشياء وجدان ثمرات الطاعات عاجلا بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها
عاجلا ما يجد العاملون بطاعة الله في أعمالهم عاجلا من مزيد الإيمان واليقين وتنسم روح الأنس ولذيذ
القرب ولطيف الوصل بشائر من الله تعالى عاجلة بوجود الجزاء عليها في الدار الآخرة فإنها
مقبولة عند الله تعالى وقد تقدم عند قوله من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول
كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك أم كيف تطلب الجزاء على صدق
هو مهديه إليك العمل الذي يصح طلب العوض والجزاء عليه هو ما عملته لينتفع به غيرك ولم
يحل لك منفعة ولم يندفع عنك بسببه مضرة والأعمال الدينية المطلوبة منك ظاهرا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)